USLUB AL-ILTIFAT FI DIRASAT ULAMA AL-BALAGAH AL-QADIM WAL HADITS

Damhuri Dj. Noor, Ratni Bt. Hj. Bahri

damhuridjnoor@gmail.com, ummiudail@gmail.com
Institut Agama Islam Negeri Sultan Amai
Gorontalo, Indonesia

Abstract: The paper discusses the *al-Iltifât* language style in the Arabic tradition of science. *Al-Iltifât* is the transition of communication patterns in the conversation. Ontologically, *al-Iltifât* as a style of the language regarded as the crucial part of balaghah study, because there is no unity of definition and scope of study among scholars, even the names are quite varied. In the tradition of classical study, *ulama* provide various names. The scope of this *al-Iltifât* is limited to transition on the use of pronouns, the use of verbs, and the transition of themes in the conversation context. In contrast to modern *balaghah* scholars who are expanding the scope of the *al-Iltifât*, they are not bound by the definition and scope of the study proposed by classical scholars. They depart from the general terminology that all forms of communication pattern transition are included in the *al-Iltifât* category. Therefore, they develop various types that have an impressive communication pattern transition.

Keywords: Uslub, al-Iltifât, Balagah

مقدمة

الالتفات هو أسلوب من أساليب الأدبية في البلاغة العربية. ذهب الجمهور إلى تعريف الالتفات بأنه هو التحول أو الانتقال في التعبير الكلامي من اتجاه إلى آخر (الميداني، 1997، ص. 479). والانتقال أو التحول من أسلوب إلى أسلوب آخر في التعبير الكلامي ليس أمرا غريبا في منظور علم المعاني. بل يعدّ التحول في استخدام أسلوب إلى أسلوب آخر صورة من الصور المبدعة لاكتساب الأسلوب نوعا من الجدّة والطرافة، وأحسن تطرية لنشاط السامع وإيقاظا للإصغاء إليه (الفيل، د.س، ص. 284).

وإذا نظرنا إلى الالتفات من منظور علم النحو، فإنه يخيّل لنا صورة من الانحراف عن القواعد اللغوية العربية المعيارية. ولكن إذا نظرنا من وجهة نظر علم البلاغة، فإنّه يشعرنا بالطرافة في الأسلوب والجمالة في التعبير، وملاءمته بالمعنى المراد تعبيره، ومطابقته لمقتضى حال الخطاب. فعلم النحو يعطينا قاعدة معيارية التي تساعدنا في السير عليها في بناء الجملة الصحيحة، بينما علم البلاغة يركز من حيث قدرة بنية الجملة على إيصال المعلومات وفقا لمقتضى حال الخطاب. وعلى هذا، فإن القواعد اللغوية المعيارية إنما هي وسيلة تساعد في إيصال المعنى الصحيح. فعلى هذا، ذهب ابن جني كما استخلصه إلى القول بأن اللفظ خادم للمعنى (Susiawati, 2015, h. 171.).

إذا اطّلعنا على كتب علماء البلاغة القديمة، وجدنا أن مصطلح "الالتفات" من أكثر موضوع علم البلاغة تعقيدا. فعلماء البلاغة في الدراسات البلاغية القديمة لم يصلوا إلى أي اتفاق، سواء من ناحية المصطلح وموضوعاته أم من ناحية أنواعه. فإنّ معظم علماء البلاغة القدامى يحددون مفهوم الالتفات في التحول من استعمال ضمير معين إلى ضمير آخر. وزاد بعضهم هذا التعريف بالانتقال في التعبير من استخدام صيغة الفعل إلى صيغة آخرى.

وأما علماء البلاغة الحديث، يبدو أنهم يوسعون نطاق الالتفات بالرجوع إلى المفهوم العام للالتفات نفسه. فعلى هذا، فإنهم يعدون جميع أشكال التحول من استخدام أسلوب الاتصال إلى أسلوب آخر بالالتفات. اعتمادا على هذا التوسع في المفهوم، فإن الدراسات البلاغية الحديثة تتناول موضوعات دراسة الالتفات التى طرحها علماء البلاغة القدامى، وأضافت بعض الأنواع الجديدة. فيدخل في نطاق دراستهم للالتفات مثل: التحول في استخدام الضمائر، والتحول في استخدام صيغة الفعل، والانتقال في استخدام الكلمات التي لها صلة دلالية، والانتقال استخدام الأدوات النحوية، وما إلى ذلك. وينطلقون في تحديد مفهوم الالتفات من نظرية مطابقة اختيار أسلوب الكلام لمقتضى الحال وسياق المقام مع المعنى المقصود إيصاله.

الالتفات في دراسات علماء البلاغة

الالتفات هو أسلوب من الأساليب البلاغية. والالتفات لغة مشتق من " ل ف ت ". وهذا الجذر مع جميع مشتقاته بشكل عام يحمل معنى "التحول من الاتجاه الحقيقي، وصرف شخص ما عن رأيه، والانتقال (Wehr, 1976, p. 872).

إذا اطلعنا على أراء العلماء في تحديد مفهوم الالتفات، فإننا لا نجد أن هناك وحدة مصطلحية. ذهب العسكري (1952، ص. 392) إلى تعريفه بأنه هو التحول من موضوع إلى موضوع آخر قبل تمام الكلام. وقدم حفنى نصيف (2007، ص. 136) تعريفا آخر، وهو الانتقال في استخدام ضمير إلى ضمير آخر في الكلام، مثل الانتقال من استخدام ضمير المخاطب إلى ضمير المخاطبَين أو المخاطبِين أو عكسه. واتفق رأي حفنى نصيف بما ذهب إليه ابن الأثير، غير أن ابن الأثير زاد في تعريفه نوعا آخر، وهو الانتقال من استخدام صيغة من صيغ الفعل إلى صيغة أخرى، مثل الانتقال من استخدام صيغة الماضى إلى استخدام صيغة المضارع وعكسه، وما أشبه ذلك.

إنّ أسلوب الالتفات في حقيقته – بغض النظر عن تنوع التعريفات التي قدمها العلماء واختلاف موضوعاتها – يدخل تحت الدراسة عن خروج الكلام عن القواعد النحوية المعيارية، أو ما يسمى بخروج الكلام عن مقتضى الظاهر في علم البلاغة. إن التوافق بين علم النحو وعلم البلاغة يتمثل في كليهما يجعلان بنية الجملة العربية كمادة دراسية. والفرق بينهما، يتمثل في أنّ علم النحو يتناول من ناحية وظيفة وحدات لغوية في تكوين الجملة المفيدة. وأما علم البلاغة يتناول من ناحية المعنى ومدى تأثير بنية الجملة في المعنى. والمقياس لعلم المعاني هو الملاءمة بين الجملة مع مقتضى الحال الخطاب. فعلى هذا، فإنّ أسلوب الالتفات الذي يمثل نوع من العدول عن القواعد النحوية يدخل تحت موضوع علم المعاني.

انظلاقا من التعريف السابق ذكره، فنستخلص أنّ حقيقة الالتفات هو التغيير في استخدام أسلوب الكلام، حيث يختلف عن الأسلوب المستخدم سابقا. ولذلك، ففي محاولة فهم الالتفات تحتاج إلى دراسة سياق النص، لأنّ خلفية الالتفات في النص تتعلق بعدة نواحي. لخص Marjoko (2019, h. 64) هذه الخلفية في عدة نواحي، وهي: المتكلم، والمتلقى، موضوع الكلام، وسياق الكلام.

تطور الدراسات عن الالتفات

الالتفات –كنوع من أنواع فريد في اللغة العربية – شائع عند العرب منذ الجاهلية. ومع ذلك، فإنه لم يكن هناك أي تعريف موحّد اتفق عليه العلماء. وإذا تتبعنا مفهوم الالتفات من خلال كتب البلاغيين، فإننا لم نجد أي تعريف موحد لهذا المظهر اللغوي. وإذا نظرنا من الناحية التاريخية، نجد أنّ أول نشوء الدراسات عن الالتفات يعود إلى القرن الثاني الهجري. فعلماء البلاغة منذ ذلك القرن يدركون الجمال البلاغي، سواء كان في الأعمال الأدبية أم في القرآن الكريم. ولكن مع ذلك، لم يحصلوا على مصطلح موحّد لتسميتها.

تشير المعلومات التاريخية في الكتب البلاغية إلى أنّ أول من استخدم مصطلح الالتفات هو الأصمعي. غير أنّ الأصمعي لم يقدم تعريفا ثابتا، وإنما ينظر إلى هذه القضية كمظهر لغوي الذي له قيمة أدبية عالية. والالتفات عند الأصمعي هو التحول من موضوع إلى موضوع آخر قبل أن يفرغ الكلام (العسكري، 1952، ص. 392). فهذه المعلومات تشير إلينا أنّ الأصمعي حينذاك يدرك وجه الجمال في الالتفات في إيصال المعنى. وهذه

المعلومات الذي اعتمد عليه الباحثون في القول بأن الأصمعي أول من استخدم مصطلح الالتفات في الدراسات اللغوية. وعلاوة على ذلك، فإن هذه المعلومات تشير إلينا أن مصطلح الالتفات كان معروفا منذ القرن الثاني الهجري. وإنما مفهوم الالتفات في ذلك الحين مختلفًا عما يفهمه العلماء الذين جاؤوا من بعده.

أبو عبيدة معمر المثنى (ت: 210 هـ.) مثلا عند تحليله لقول الله تعالى: "... **ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً** ..." (سورة المؤمن/40: 76) يقول أنّ في هذه الآية التفات من استخدام صيغة الجمع إلى صيغة المفرد. فالضمير "كُمْ" في قوله "يخرجكم" هو ضمير الجمع، بينما كلمة "طِفْلاً" جاءت في صيغة المفرد. فهذه الصورة توحي إلينا عدم تكافؤ الجملة من منظور نظر علم النحو. فيرى أبو عبيدة هذه الصورة من العدول نوعا من التحول في الأسلوب، إلاّ أنه سماها بالمجاز. فالمثال الذي قدمه أبو عبيدة سابقا يدل على أنه توسّع في استعمال مصطلح المجاز، خارجا عن مفهوم العلمي للمجاز المعروف الآن. فمصطلح المجاز عند أبي عبيدة يدخل تحته جميع أنواع التحول في الكلام، سواء كان هذا التحول في المعنى، أو التحول في استعمال صيغ الكلمة (التحول من صيغة الماضي إلى المضارع والعكس؛ والتحول من ضيغة المفرد إلى صيغة الجمع والعكس، والتحول من ضمير المخاطب إلى ضمير الغائب، والعكس) ، وما أشبه ذلك. ولكن لا يشرح أبوعبيدة عن الآثار المعنوية التي نشأ من هذا التحول، وإنما أشار إلى أنّ صورة التحول في الكلام المتعارف عند العرب القدمى، وارد في القرآن الكريم.

ولا يذهب المبرد (ت. 285 هـ.) بعيدا عما ذهب إليه أبو عبيدة في النظر إلى الالتفات. فاعتبر المبرد (1998، ص. 83) التحول من استخدام ضمير المتكلم إلى ضمير الغائب نوعا من الالتفات، وإنما سماه بالصرف أو الانصراف. وسار ابن الوهاب وأسامة ابن منقذ على ما ذهب إليه المبرد في هذه التسمية.

وسار ابن قطيبة (ت. 276 هـ.) في كتابه *تأويل مشكل القرآن* إلى ما ذهب إليه أبو عبيدة. فأدخل هذه الظاهرة اللغوية تحت موضوع المجاز، كما ذهب إليه أبو عبيدة. فأدخل في ضمن كلامه عن المجاز بعض المضوعات اللغوية، من أمثال: الاستعارة، والتمثيل، والقلب، والتقديم والتأخير، والحذف، والتكرار، والإخفاء، والإظهار، والتعريض، والإفصاح، والكناية، واستخدام صيغة الجمع للمفرد أو المثنى وعكسه، واستخدام الخاص للعام وعكسه. ويرى ابن قطيبة (2007، ص. 22–23) أنّ جميع أنواع التحول في الكلام، سواء كان في الصيغة أم في المعنى، داخل في إطار موضوع الالتفات.

بناء على دراسة المفاهيم السابقة، تبيّن لنا أن صور الالتفات التي قدمها العلماء في القرنين الثاني والثالث الهجري لم تصل إلى تعريف ثابت متفق عليه. ولذلك ، فالكلام عن الالتفات في ذلك الحين، أحيانًا يدخل تحت موضوع المجاز، وأحيانًا استخدموا مصطلحات خاصة، مثل الالتفات، والصرف، والإنصراف، وأحيانًا لا يؤيدون أي مصطلح للمفاهيم التي قدموها.

ويُعدّ عبد الله ابن المعتز أول من عرّف الالتفات تعريفا اصطلاحيا في كتابه *البديع*. فأدخل الالتفات تحت موضوع محاسن الكلام. عرّف ابن المعتزّ الالتفات من ضمير المخاطب إلى الإخبار، ومن الإخبار إلى المخاطب وما أشبه ذلك، أو الانتقال من معنى إلى معنى آخر.

والأمر الذي جدر الإشارة إليه، أنّ التعريف الذي قدمه ابن المعتز هو أول تعريف اصطلاحي للإلتفات فضلا عن الإشارة التى قدمه الأصمعي من قبل. وبالإضافة على ذلك، فإن ابن المعتز يتكلم في موضوع الالتفات في الانتقال في استخدام ضمير المخاطب إلى ضمير المتكلم أو الغائب. ولا يحدّد ابن المعتز موضوع الالتفات في هذه الصورة الثلاثة فحسب، بل توسّع إلى الانتقال من معنى إلى معنى آخر. وهو يذهب مذهب من قبله من العلماء في تسمية الالتفات بالإنصراف أو الصرف.

وبعد عصر ابن المعتز، فإن مفهوم الالتفات عند علماء البلاغة يدور حول المفهوم السابق ذِكره مع بعض التوسع فيه. فأبو هلال العسكري مثلا، لا يقدم أي تعريف للإلتفات، وإنما يقدم بعض الأغراض من الإلتفات. وأما ابن قدامة بن جعفر (ت. 337 هـ.) يقدم مفهوما جديدا للإلتفات غير الذي قدمه ابن المعتز. ذهب ابن قدامة إلى تعريف الالتفات بالتعريض

(ellipsis) وهو إدراج فكرة جديدية تتوسط بينها وبين الفكرة الأولى في الجملة، ثم العود إلى الكلام عن الفكرة الأولى. والأمر الذي جدر الإشارة إليه، أنّ ابن قدامة وابن المعتز يعيشان في عصر واحد، غير أنهما اختلفا في مفهوم الالتفات. فهذه الظاهرة تشير إلينا أنّ العلماء البلاغيين القدامى لا يتفقون على تعريف موحد للإلتفات. وهذه الظاهرة لا تقتصر في عصر ابن قدامة وابن المعتز فحسب، بل استمرّت إلى العصور بعدهما.

والزمخشري، عند تفسيره للآيات المتضمنة لظاهرة الالتفات يقول أن مثل هذه الظاهرة اللغوية تسمى بالالتفات في البيان. قد يكون الالتفات من ضمير الغائب إلى ضمير المخاطب وعكسه، ومن ضمير الغائب إلى ضمير المتكلم. ومصطلح البيان الذي ذكرة الزمخشري، لا يقصد به البيان بكونه علما قائما بنفسه المتعارف الآن، وإنما يقصد به ظاهرة بلاغية لها قيمة فنية وجمالية في التعبير عن أفكار معين. والزركشي (1984، ص. 246) يقدم مصطلحا آخر للإلتفات غير الذي قدمه العلماء البلاغيون من قبل. وهو ينقل مصطلح الذي استخدمه الثعالبى (427 هـ) وهو المتلوّن.

وعلى الرغم من عدم وجود اتفاق في المصطلحات بين علماء البلاغة في تاريخ تطور دراسات البلاغة، فإن مصطلح الالتفات قد شاع استعماله في الدراسات البلاغية. في حين أن المصطلحات الأخرى، مثل الصرف، والإنصراف، والعدول، والنقل، والتلوين، وما شابهها، هي المصطلحات التي تعود إلى مصطلح الالتفات. وعلاوة على ذلك، أكّد ابن يعقوب المغربي (1110 هـ) أن كل هذه المصطلحات مع اختلافها، تسمى بالإلتفات في علم المعاني (فالح، 1984، ص. 66).

إذا لاحظنا الدراسات للإلتفات التى ذكرناها سابقا، فإننا نجد على الأقل ثلاثة اتجاهات في تحديد مصطلح الالتفات (طبل، 1998، ص. 19)، وهي:

الأول: الفئة التي تستخدم مصطلح الالتفات الذي يرتبط بالمصطلحات البلاغية الأخرى، كما ذهب إليه ابن قدامة بن جعفر ومن سار على نهجه مثل: الحازمي (ت. 338)، وأبو هلال العسكري (ت. 395 هـ.)، والثعالبي (ت. 430 هـ.)، وأبو طاهر البغدادي (ت. 517 هـ.)، وحازم القرطجني (ت. 684 هـ.).

الثاني: الفئة التي تركز دراستها للالتفات في الانتقال من أسلوب إلى أسلوب آخر. والزمخشري هو أول من يميل إلى هذا الاتجاه، ثم تبعه ابن الأثير، والزكشي، والعلوي، والسيوطي، والسكاكس وتلاميذه.

الثالث: الفئة التى توسّع في مفهوم الالتفات معتمدا على الملامح التي قدمها العلماء من قبل. وهذا التوسيع يتمثل في الانتقال من أسلوب إلى أسلوب آخر، والانتقال في استخدام الضمائر، والانتقال من معنى إلى معنى آخر. ويدخل في هذا التوسع مثل: الاعتراض، والرجوع، والتتميم أو الاحتراس، والاستدراك، كما ذهب إليه جمهور علماء البلاغة. والعلماء المشهور الذي سلك هذا المسلك منهم: ابن رشيق القزويني (ت. 456 هـ.)، وفخر الدين الرازي (ت. 606 هـ.)، وابن الإصبع المصري (ت. 654 هـ.).

إنّ اختلاف علماء البلاغة في تحديد مصطلح الالتفات ليس أمرا غريبا، لأن تعريف الالتفات في اللغة له معنى عام، يدخل في إطاره التحول والانتقال في الكلام من أسلوب إلى أسلوب آخر. وعلاوة على ذلك، فإنّ المصطلحات البلاغية الأخرى، مثل: الاعتراض، والاستدراك، وغيرهما لها تشابه في المفاهيم من حيث الانتقال في أسلوب الكلام (طبل، 1998، ص. 19). وهذه المشكلة التي تسبب في عدم وجود مفهوم موحّد تحدد مفهوم الالتفات عند العلماء البلاغيين في فترة طويلة.

بناءً على تحليلٍ لآراء علماء البلاغة حول مفهوم الالتفات المذكور سابقًا، وجدنا أن هناك اختلافات في تقديم قيود مفاهيمية لهذا المصطلح. بغض النظر هذه الاختلافات، فإننا نجد أن هناك نقطة التقاء التي تجمع بين هذه المفاهيم المختلفة، هو أن جميع العلماء ينظرون إلى الالتفات بالانتقال في التعبير من أسلوب إلى أسلوب آخر (طبل، 1998، ص. 23). وبهذه العبارة، فإن مفهوم الالتفات لا يقتصر على الانتقال من استخدام الضمائر إلى الضمائر الأخرى كما حدده جمهور علماء

البلاغة، ولكن له معنى واسع يدخل تحته جميع صور الانتقال في أسلوب التعبير، بشرط أن لا يغير هذا الانتقال جوهر المعنى أو البنية الأساسية (طبل، 1998 ، ص.55). فاعتماد على هذا المفهوم، يمكننا تجنب التناقضات والاختلافات القائمة وتطوير موضوع دراسة الالتفات.

انطلاقا من الدراسات المصطلحية سابقا، فإنها تعطينا تصورا بأنّ مصطلح الالتفات نسبي. وإنّ العلماء يتأثرون بخبرتهم الأدبية في تحديد مصلح الالتفات. فعلى سبيل المثال، في القرن الرابع الهجري، فإنّ النثر المشجع يعتبر انحرافا عن الأسلوب الأدبي. وكذلك الحال بالجناس والتورية في القرن السابع الهجري يعتبر انحرافا عن أسلوب الأدب. ولكن بعد أن أصبحت هذه الأساليب اللغوية قاعدة من القواعد في العلوم المعينة، أخرجت من ضمن الالتفات وأصبحت قاعدة خاصة قائمة بنفسها (الخرشة، 2008، ص. 30).

بصرف النظر عن تنوع التعاريف والقيود المفروضة على الالتفات، فمن المؤكد أن العلماء بذلوا جهدا كبيرا في تحديد مفهومه. وإن جميع الدراسات التي أجراها علماء البلاغة القدامى أصبحت نقطة انطلاق أساسي في دراسة الالتفات. إنّ حقيقة الالتفات هي التغيير أو التحول في أسلوب الكلام عن أسلوب السابق. لذلك، من الطبيعي أن تظهر وجهات نظر مختلفة في وضع الحدود العلمية لمصطلح الالتفات.

اعتبارا على عدم وضوح حدود مفهوم وموضوع دراسة الالتفات، فهذه الظاهرة تؤثر في ظهور الاختلاف في وجهات النظر عن الالتفات في الدراسات البلاغية الحديثة. فعلماء الحديث يقدمون مصطلحات مختلفة التي تشير إلى مفهوم التحول في الأسلوب الكلامي، منها: العُدول، الانزياح، وتعاور المفردات.

حسن طبل، عالم من علماء البلاغة الحديثة، يحاول أن يعالج قضية الاختلافات حول الالتفات ثم وضعها في إطار واضح. يؤكد حسن طبل أن الدراسات عن الالتفات في القرآن الكريم التي ظهر من قبل، لم تصل إلى الدراسات النقدية لمعرفة أغراض والأثار المرتبة من أسلوب الالتفات. فالعلماء القدامى لم يقوموا عند دراستهم للإلتفات بالدراسات المتكاملة. وإنما الدراسات التي قاموا بها حول الالتفات يميلون إلى توصيف الأمثلة وتأكيد ماهيته في اللغة العربية عامة وفي القرآن الكريم خاصة (طبل، 1998، ص. 6).

يميل حسن طبل عند تعريفه للالتفات إلى مفهوم أساسي ولغوي لهذا المصطلح. ولذلك، ينظر إلى الالتفات إلى أنه ظاهرة التحول في أسلوب الكلام إبداعية دون تحديد أنواع معين. وإنّ اتجاه حسن طبل متساير مع اتجاه الذي ذهب إليه يحيي حمزة العلوي. وهو في هذا، يميل إلى تعريف الالتفات بالانتقال أو التحول من أسلوب الكلام إلى أسلوب آخر. وهذا التعريف أفضل من القول بالتحول من استخدام الضمير الغائب إلى الضمير المخاطب أو من الضمير المخاطب إلى الضمير الغائب. إنّ التعريف الذي قدمه طبل وما ذهب مذهبه أكثر شمولية، لأن موضوع الالتفات لا يقتصر في استخدام الضمائر. والتعريفات التي قدمها العلماء القدامى، لا نجد هناك أي تحديد لهذا المصطلح، وإنما تتمثل في تقديم الأمثلة للالتفات (ابن حمزة، 1914، ص. 132). فذهب طبل إلى استيعاب معظم وجهات نظر العلماء القدامى، ثم قام بتصنيفها إلى عدة موضوعات، كما سنتكلم السطور القادمة. أنّ الأمر الذي جدر الاهتمام في قضية الالتفات هو أنه لا يقتصر في العدول أو التحول فحسب. بل لا بدّ أن يفاجئ المستمع ويثير إعجابه لاختلافه عما يتوقعه ويحمله إلى البحث عن الأسرار الكمنة وراء هذا الالتفات. وأكّد D. Hidayat كما عنه Moh. Makinuddin (2018, h. 172) بأن من أغرض الالتفات هي التنويع في طرق التعبير لأن لا يسأم التلقى، لوجود التجدد المتسمر.

أنواع الالتفات في دراسات العلماء القدامى

وفي المحاولة في تصنيف أنواع الالتفات، لا يمكننا التخلص من المفاهيم التي قدمها العلماء القدامى. نظرا إلى عدم وجود اتساق مفاهيم العلماء حول حدود الالتفات، فالعلماء مختلفون في تحديد نطاقه في كتبهم. وذهب بعض العلماء إلى تضييق نطاق دراستهم، وذهب بعضهم إلى توسيعه بعيدا عن التعريفات التى شاعت بين علماء البلاغة.

والعلماء الذين يحددون نطاق الالتفات يعتمدون على التعريف المشهور عند علماء البلاغة، وهو: التعبير عن معنى باستخدام طريق من الطرق الثلاثة. والطرق المقصودة هي: الانتقال من استخدام ضمير المتكلم، أو ضمير المخاطب، أو ضمير الغائب، بعد استخدم طريق من هذه الطرق الثلاثة من قبل. والشرط في الالتفات هو أنّ الأسلوب الأول مختلف عن أسلوب الثاني ولا يختلف عن ما يتوقعه السامع (أبو زيد، 1988، ص. 101).

انطلاقا عن التعريفات السابقة ذكرها، فإنّ الالتفات عند علماء البلاغة القدامى ينقسم إلى ستة أنواع، وهي كما يلي:

1. **الالتفات في الكلام من المتكلم إلى المخاطبين.**

ومن الأمثلة لهذا النوع من الالتفات، نجد في قوله تعالى في سورة يس/36: 22:

وَمَا لِي لاَ أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ

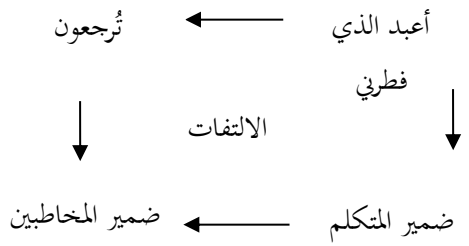

ففي بداية الآية، قال الرجل "**وَمَا لِي لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي**" باستخدام ضمير المتكلم. ثم التفت في المقطع الثاني من الآية بقوله "**وإليه ترجعون**" باستخدام ضمير المخاطب. ففي بداية الآية، كان السياق يقتضي أن يقول "**وإليه أرجع**" ليتكافؤ سياق مطلع الآية مع آخرها.

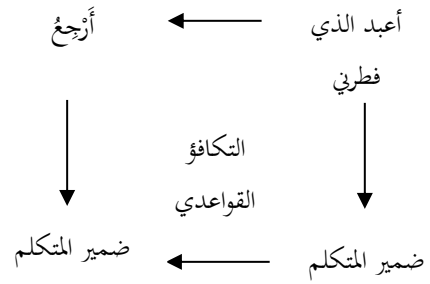

والأثر الدلالي الذي يرمي إليه هذا الالتفات، هو أنّ المتكلم استخدم الأسلوب غير مباشر لتكون هذه الكلمة تقريراً لهم أنهم سيموتون كما يموت الآخرين، وسيرجعون إلى الله كما يرجع الآخرين، وسيحاسبون كما يحاسب الآخرين.

1. **الالتفات من المتكلم إلى الغائب.** ومن أمثال هذا النوع من الالتفات، قوله تعالى في سورة البكوثر/108: 1-2:

إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾

ابتدأت الآية السابقة باستخدام ضمير المتكلمين "**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ**" نسبة إلى الله سبحانه وتعالى، ثم التفت إلى استخدام ضمير الغائب "**فَصَلِّ لِرَبِّكَ**". وكان السياق يقتضي أن يقول "**فصلِّ لنا**"، ليتناسب مع السياق الآية "**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ**". والسرّ في هذا الالتفات للتذكير عن حقوق الله الربوبية الذي أنعم جميع العباد، وهي العبادة له.

2. **الالتفات من المخاطب إلى المتكلم.** ومن أمثال هذا النوع من الالتفات، قوله تعالى في سورة هود/11: 90:

وَاسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾

ففي المقطع الأول من الآية، كان سياق الكلام باستخدم ضمير المخاطبين (**وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ**)، ثم التفت في المقطع الثاني باستخدام ضمير المتكلم وحده (**إِنَّ رَبِّي**). إنّ سياق الكلام في هذه الآية يدور حول قصة قوم شيعب عليه السلام الذين لا يريدون أن يؤمنوا بالله الواحد، بل قاموا بعبادة آلهة أجدادهم من قبل. ولذلك، بعد أن دعاهم شعيب ليستغفروا ويتوبوا إلى الله، ختم شعيب دعوته لهم بقوله " **إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ**" باستخدام ضمير المتكلم. وهذا الالتفات لإشعارهم بأن الله الذي يعبده شعيب إله واحد، رحيم وودود، ولا يقول "**إنّ ربكم**"، لأنّ أمة شعيب يعبدون ألهة كثيرة.

3. **الالتفات من المخاطب إلى الغائب.** ومن أمثال هذا النوع من الالتفات، قوله تعالى في سورة يونس/10: 22:

هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا ...

يسير سياق الكلام في مطلع الآية السابقة باستخدام ضمير المخاطبين (هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ)، ثم التفت بعد ذلك باستخدام ضمير الغائبين (وَجَرَيْنَ بِهِم)، مع أنّ المخاطبين حاضرون. والسرّ في هذا الالتفات أنّ الله سبحانه يريد أن يشعرهم بأنّ مثل هذه الحالة ليست مقصورة على المخاطبين فحسب، بل تنطبق مع كل من ينكرون ألوهية الله وينسون نعمه.

4. **الالتفات من الغائب إلى المتكلم**. ومن أمثال هذا النوع من الالتفات، قوله تعالى في سورة فاطر/35: 9:

وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ

ففي مطلع الآية، استخدم القرآن ضمير الغائب في قوله تعالى: (وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ). ثم بعد ذلك، التفت إلى استخدام ضمير المتكلمين (فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا). فالسرّ من الالتفات من من الغائب إلى المتكلم في هذه الآية لإشعار على وجود الله سبحانه وقربه وقدرته على تحقيق كل ما يريد، إضافة إلى إحضار الله سبحانه وتعالى في ذهن المستمع، ليترسخ في نفس السامع الخوف من الله، فنشأ مع ذلك موقف الطاعة والخضوع.

5. **الالتفات من الغائب إلى المخاطب**. ومن أمثال هذا النوع من الالتفات، قوله تعالى في سورة الفاتحة/1: 2-5:

الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾

وصف الله سبحانه وتعالى نفسه باستخدام صيغة الغائب في الآيات: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (2) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (3) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ. ثم بعد ذلك، انتقل إلى استخدام صيغة المخاطب في قوله تعالى: إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ. والسرّ في هذا الالتفات، لأنّ الثناء باستخدام صيغة الغائب يشعر بعظمة الله سبحانه وعلوّ مرتبته. وأما السرّ في استخدام صيغة المخاطب في قوله تعالى: "إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ"، لأنّ التعبير عن الطاعة والدعاء إلى الله أولى أن يعبّر في أسلوب مباشر. إضافة إلى ذلك، فإن الأسلوب المباشر في هذه الآية، فيه غرض التعليم للعباد في الثناء إلى الله سبحانه.

إذا لاحظنا أنواع الالتفات التي قدمناها سابقا، فإننا نلاحظ أنّ الأنواع المذكورة لا تستوعب جميع أنواع الالتفات التي أشار إليها علماء البلاغة في العصور الأولى لتطور الدراسات عن الالتفات. هناك بعض الأنواع التي أشار إليه البلاغيون القدامى، مثل: الانتقال من استخدام صيغة فعل الماضى إلى المضارع أو عكسه، والالتفات من معنى إلى معنى آخر، وما أشبه ذلك، لم يدخل ضمن التقسيم الشائع عند علماء البلاغة المتقدمين.

تطور تصنيف الالتفات في الدراسات البلاغية عند علماء المتأخرين

انطلاقا من التعريف العام، ذهب علماء البلاغة المتأخرين إلى التوسع في أنواع الالتفات باستيعاب جميع أنواع الالتفات الذي أشار إليه علماء المتقدمين (طبل، 1988، ص. 55-167) كما يلي:

1. **الالتفات في استخدام صيغة صرفية معيّنة إلى صيغة صرفية أخرى**

يتحقق الالتفات في هذا المجال كلما تخالفت في استخدام صيغة صرفية من مادة معجمية واحدة. وتتمثل هذه الصورة أنواعا عديدة، وهي:

أ. استخدام متبادل بين صيغتي الصرف، حيث أنّ أصلهما مشتقة من مادة معجمية واحدة. ومن صور هذا النوع هو الانتقال في استخدام صيغة الفعل على وزن "فَعَلَ – يَفْعُلُ" إلى استخدام صيغة الفعل على وزن "فَعَّلَ – يُفَعِّلُ"، حيث أنّ كلتا الصيغتين مشتق من جذر واحد وهو " ف ع ل ". ومن أمثال هذا النوع من الالتفات، قوله تعالى في سورة الإسراء/17: 90-91:

وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنبُوعاً ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيراً ﴿٩١﴾

فلقد جرى الآية الكريمة السابقة على استخدام صيغة الفعل المضارع "تَفْجُرُ" على وزن "فَعَلَ" في وصف الينبوع، ثم التحول عن هذه الصيغة إلى صيغة مضارعة أخرى "تُفَجِّرُ" على وزن فَعَّلَ – بالتشديد – عند وصف الأنهار. وكلتا الكلمتين من مادة معجمية واحدة، وهي: "ف ج ر ". فعند الكلام عن الينبوع، استخدمت الآية كلمة :تَفْجُرُ"، بينما عند الكلام عن الأنهار، استخدمت كلمة "تُفَجِّرُ" على وزن فَعَّلَ. وعند التعليق على هذه الآية، قال السّمرّائي، أنّ استخدام صيغتي صرفيتين متبادلتين في الآية ليتناسب سياق الآية مع المعنى الذي يراد إيصاله. فاستخدام وزن "فَعَّلَ" (بالتشديد) في الآية السابقة يدلّ على معنى المبالغة والتكثير (بخدود، 1998، ص. 30–32). ولذلك، استخدم كلمة تَفْجُرُ عند الكلام عن الينبوع، لأنّ الماء الجارى في الينبوع أقلّ من الماء الجاري في الأنهار، بينما عند الكلام عن الأنهار، استخدم كلمة "تُفَجِّرُ"، للدلالة على كثرة الماء الجاري في الأنهار بالنسبة إلى ماء الينبوع.

ب. **الالتفات في استخدام صيغة الاسم إلى صيغة آخر**، بحيث أنّ كلي الاسمين مشتق من نقس جذر. فمثال هذا النوع من الالتفات، قوله تعالى في سورة الأعراف/7: 60–61:

قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلاَلَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦١﴾

في الآية السابقة، فيها التفات من كلمة "ضلال" إلى كلمة "ضلالة"، وكلاهما يعود إلى أصل واحد. ففي الكلمة الأولى تأتي في صيغة المصدر (ضلال)، وفي الكلمة الثانية تأتي في صيغة اسم المرّة (ضلالة). فلقد كان مقتضى السياق أن ينفي نوح تهمة الضلال عن نفسه بصيغة المصدر "ضلال" التى وردت بها تلك التهمة على لسان قومه، ولكنه تحوّل عن تلك الصيغة إلى صيغة اسم المرة "ضلالة" لغرض المبالغة في نفي تلك التهمة. وذلك لأنّ يدلّ على معنى القليل أو الكثير، بينما اسم المرّة تدل على الفعلة الواحدة. وإنّ نفي القليل أبلغ من نفي الكثير (طبل، 1998، ص. 71).

ج. الالتفات بين صيغ الأفعال

إذا قرأنا الآيات القرآنية قراءة متأنية، وجدنا أن هناك آيات كثيرة تستخدم صيغ الأفعال مختلفة استخداما متبادلا في سياق الآية الواحدة. فعلى سبيل المثال، هناك التفات من استخدام صيغة الفعل الماضى إلى استخدام صيغة الفعل المضارع، كما في قوله تعالى في سورة الحج/22: 65:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاء أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾

في الآية السابقة التفات من استخدام الفعل الماضى (سَخَّر) إلى استخدام صيغة المضارع (يُمْسِكُ). وهذا العدول لبيان الفرق بين صور حدوث الأفعال. فإنّ تسخير الله سبحانه وتنظيمه لجميع مخلوقاته أمر مضى في سنة الله تعالى منذ أن خلق الله السموات والأرض، فتناسبت استعمال صيغة الماضى لسياق المعنى. وأما إمساك الله تعالى للأجرام السموية من السقوط، أمر دائم مستمر (أبو حيان، 1993، ص. 386–387)، فتناسب مع ذلك صيغة المضارع مع سياق الآية.

د. الالتفات من صيغة الاسم إلى صيغة الفعل

إنّ لكلٍّ من الاسم والفعل له خصائصه في تأدية المعنى. فالاسم يتميز في تأدية المعنى دون الالتزام بالزمن، بينما الفعل يشير إلى التجدد في المعنى. والمثال لهذا المنوع من الالتفات، في قوله تعالى في سورة آل عمران/3: 134

ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّاءِ وَٱلضَّرَّاءِ وَٱلكَٰظِمِينَ ٱلغَيظَ وَٱلعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلمُحسِنِينَ

بيّن الله سبحانه وتعالى في الآية السابقة عن صفات المنفقين باستخدام صيغة الفعل المضارع. وعند الكلام عن صفة "كظم الغيظ" (والكاظمين الغيظ) وصفة "العفو" (والعافين عن الناس)، استخدم صيغة اسم الفاعل. فإنّ استخدام صيغة الفعل المضارع (يُنْفِقُوْن) يشير إلى معنى التجدد أو الاستمرارية. فاستخدام صيغة المضارع في هذه الآية تشير إلى أنّ الصورة المثلى لصفة الإنفاق لا تتحقق إلا بتجددها على اختلاف الظروف والأحوال. بينما أنّ في كظم الغيظ والعفو عن الناس لا يمكن تحقيقه إلا إذا ترسّخ هذه الصفة في النفس، والمثابرة على التمسك بهما (طبل، 1998، ص. 86).

2. الالتفات في العدد

الالتفات العددي عند ابن الأثير كما نقل عنه كفايت الله همداني (2016، ص. 152)، هو الرجوع من خطاب التثنية إلى خطاب الجمع، ومن خطاب الجمع إلى خطاب الواحد وما أشبه ذلك. ويتمثل هذا النوع من الالتفات في العدول في استعمال صيغة المفرد إلى صيغة الجمع، ومن صيغة المفرد إلى صيغة المثنى، ومن صيغة المثنى إلى صيغة الجمع. ومثال هذا النوع من الالتفات، قوله تعالى في سورة المؤمنون/23: 27:

فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاء أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾

ففي الآية السابقة التفات من ضمير الجمع إلى ضمير المفرد. فعندم وصف الله سبحانه أمره إلى نوح عليه السلام لصنع الفلك تحت مراقبة الله سبحانه وتوصيف حدوث الفيضان، وصف الله نفسه باستخدم ضمير الجمع (فَأَوْحَيْنَا، بِأَعْيُنِنَا، وَحْيِنَا، أَمْرِنَا). ولكن عندما يخاطب الله نوح عليه السلام، استخدم القرآن ضمير المتكلم وحده (وَلاَ تُخَاطِبْنِيْ). فاستخدام ضمير الجمع في توصيف أمر الله بصنع الفلك وحدوث الفيضان، للتوكيد والإشارة إلى عظمة الله وقدرته في تدمير قوم نوح عليه السلام. وحينما خاطب الله سبحانه وتعالى نوح عليه السلام، استخدم ضمير المفرد، وذلك لإشعار أنه على الرغم من عظمته سبحانه وقوته في تحقيق ما يريد، فإنه يحترم نوح عليه السلام. ونفهم هذا المعنى من مخاطبته الله نوح عليه السلام باستخدام ضمير المفرد، للإشعار أنّ الله سبحانه قريب من نبيه نوح عليه السلام.

3. الالتفات في الضمائر

الالتفات في الضمائر هنا هو العدول في استخدام الضمائر من ضمير الغائب إلى المخاطب، ومن الغائب إلى المتكلم، ومن المتكلم إلى المخاطب، ومن المضمر إلى ضمير الظّاهر، ومن ضمير المذكر إلى ضمير المؤنث وعكسه.

والالتفات في استخدام الضمائر هو أكثر نوع الالتفات اهتماما عند جمهور علماء البلاغة. فمثال الالتفات من ضمير المذكر إلى ضمير المؤنث، قوله تعالى في سورة فاطر/35: 2:

مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلاَ مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلاَ مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

ففي الآية السابقة، التفات من استخدام ضمير العائد إلى المؤنث (فَلاَ مُمْسِكَ لَهَا) إلى ضمير العائد إلى المذكر (فَلاَ مُرْسِلَ لَهُ). وفي تحليل ظاهرة العدول من ضمير المذكر والمؤنث، علّل الزمخشري (1998، ص. 139) بأنّ استخدام ضمير المؤنث في المقطع الأول من الآيةيعود إلى كلمة "رحمة" لفظا. وأما استخدام ضمير المذكر في المقطع الثاني من الآية، أنه مطلق يشمل كل ما يمسكه عزّ وجلّ من غضبه ورحمته. وإنما بدأ الله بذكر الرحمة في قوله " يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ "، لإشعار بأن رحمته سبقت غضبه سبحانه وتعالى.

4. الالتفات في استخدام الأدوات النحوية

إذا قرأنا الآيات القرآنية قراءة متأنية، وجدنا أمثلة كثيرة للالتفات في استعمال الأدوات النحوية. فعلى هذا، فإن العلماء البلاغيين يحاولون محاولة جادّة في الكشف عن الأسرار الكامنة وراء هذه الظاهرة اللغوية. ومن أمثلة الالتفات في الأدوات النحوية، قوله تعالى في سورة التوبة/9: 60:

إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾

إذا نظرنا إلى الآية السابقة نظرة سريعة، فإننا نلمح إلى أنّ الآية تتكلم عن أصناف الذين يستحقون الزكاة. ولكن، إذا نظرنا إلى الآية نظرة متأنية، فإننا نلمح فيها أسلوب فريدة الذي يحتاج إلى الدراسة الدقيقة. فعند ذكر الآيات للأصناف الأربعة الأولى الذين يستحقون الزكاة (للفقراء، والمساكين، والعاملين عليها، والمؤلفة قلوبهم)، استخدم القرآن لام للملكية (إِنَّمَا الصَّدَقَات لِلْفُقَرَاء ...). وعندما تكلمت الآية عن الأصناف الأربعة الثانية (وفي الرقاب، والغارمين، وفي سبيل الله، وابن السبيل)، جاء سياق الآية باستخدام حرف الجار "في" الذي يتضمن معنى الظرفية.

إنّ استخدام حرف اللام الجارة في الآية للدلالة على الملكية. فإنّ الفقراء والمساكين، يستحقون أخذ الزكاة ما داموا في حالة الفقر والمسكين. وكذا، العامل للزكاة والمؤلفة قلوبهم، يستحقون أخذ الزكاة مهما كانوا أغنياء. فهذا هو السرّ في استخدام حرف اللام الجارة في هذه الآية حيث أن هؤلاء الأصناف الأربعة يستحقون أخذ الزكاة وصرفها حيث ما شاؤوا، لأن لديهم حق الملك وحق التصرف. وعند الكلام عن الأصناف الأربعة الثانية (الرقاب، والغارمين، وفي سبيل الله، وابن السبيل) تحولت الآية إلى استخدام حرف الجار "في" الذي يحمل معنى الظرفية. فعلى هذا، فإنّ أصناف الأربعة الثانية، فلا يملكون ما يصرف نحوهم من الزكاة، ولكن في المصالح التي تتعلق بهم. فالمال الذي يصرف في الرقاب إنما لأجل دفع التكلفة في فكّ الرقبة. والزكاة التي تصرف إلى الغارمين لأجل التخلص من ديونهم، ولا لأجل التمليك. وكذلك الحال للمجاهدين في سبيل الله لا يصرف إليهم الزكاة للتمليك، بل للتمويل أثناء تنفيذهم لهذه المهمة. وكذلك الحال صرف الزكاة للمسافرين لأجل متابعة سيرهم. وأيد عبد الوهاب عبد السلام طويلة (2000، ص. 232–234) والقرطبي (2006، ص. 254، 232–234) رأي محمد عبده في هذا المفهوم للآية.

5. الالتفات في البناء النحوي

المقصود من الالتفات في البناء النحوي، هو إعادة عنصر من عناصر البناء النحوي على شكل مغاير لما ورد به أولا في نفس التعبير أو السياق، بحيث يكون المعنى الذي يؤديه التعبير مع هذه المخالفة تفاجيء المتلقي وتثير تأمله بحثا عن مثيراتها السياقية وظلالها الدلالية الخاصة. والأمثلة لهذا النوع من الالتفات كثيرة في القرآن الكريم ومحور اهتمام علماء البلاغة. وذهب الشراعي (2013، ص. 2) بتعريفه بأنه هو الميل عن القواعد النحوية رجوعا إلى المقصود. ولكنه يؤكد أن المقصود هنا هو النحو النصي، وليس النحو المنفصل عن النصوص. ولذلك، لابد من دراسة الالتفات إلى الاهتمام إلى دلالة السياق في النص لا في القاعدة النحوية المعيارية نفسها.

ومن نوع الالتفات في البناء النحوى هو تقديم وتأخير عنصر من عناصر بناء الجملة. اللفظ هو وعاء للمعنى، ولذلك فالمفروض في الجملة تركيبها تركيبا مسلسلا وفقا للترتيب المعياري في القواعد اللغوية. فتبادل ترتيب وظيفة الكلمة لا بدّ أن يكون هناك أغراض معنوية يرمي إليه هذا التبادل أو التقديم والتأخير.

فالقاعدة المعيارية في اسم كان مثلا، تفرض أن يقع اسم كان بعد "كان"، لأنّ أصله من جملة المبتدأ والخبر. ولكن مع ذلك، نجد في التراث العربي وفي التعبيرات القرآنية ظاهرة العدول عن هذه القاعدة، في صور تبادل موقع الكلمة بعضها عن بعض في الجملة. فمثال ذلك، قوله تعالى في سورة الروم/30: :47

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلاً إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاؤُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾

وموضع الاهتمام في الآية السابقة هو قوله تعالى: "وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ". فكلمة "حَقًّا" في الآية السابقة هي خبر المقدم لـ "كان"، وكلمة "نَصر" هي مبتدأ مأخّر. المفروض وفقا للقاعد المعيارية المفروض أن يكون ترتيب الكلمة هو "وَكَانَ نَصْرُ المؤْمِنِيْنَ حَقًّا عَلَيْنَا". وهذا العدول يقصد به التسارع إلى تأكيد حق المساعدة للمؤمنين، فحدث في الكلمة

تقديم ليكون هذا المعنى أول ما سمعه المتلقي (الخالدي، 2000، ص. 262).

6. الالتفات المعجمي

الالتفات المعجمي هو العدول في الاستخدام بين الألفاظ التي تتداخل من حيث الدلالة، ثم ينفرد كل منها ببعض الخصوصيات التعبيرية أو الطاقة الإيحائية. وفي الآيات القرآنية، نجد في كثير من الآيات التي استخدمت استخداما متبادلا بين كلمتين اللتين اشتركتا بقدر معين من المعنى. واستخدام الكلمتين في شكل متبادل في سياق واحد، له أثر دلاليرمى إليه.

ومن أمثلة هذا النوع، هو الالتفات من كلمة "خَلَقَ" إلى كلة "جعل" في سورة الأنعام/6: 1:

ٱلحَمدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَوَتِ وَٱلأَرضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِم يَعدِلُونَ

فكلمة "جَعَلَ" لغة بمعنى التهيئة أو تصيير الشيء أو إيجاد شيء من شيء، وتغيير شيء من حال إلى حال. وأما كلمة "خَلَقَ" لغة بمعنى قدّر الشيء ودقّتهوالإيجاد على تقدير معين (ابن فارس، 1999، ص. 376).

الالتفات من كلمة "جَعَلَ" إلى كلمة "خَلَقَ" في سورة الأنعام التي ذكرنا سابقا يؤكد على وجود الفروق المعنوية في الكلمتين. ففي تعبير القرآن الكريم للسموات والأرض، استخدم القرآن كلمة "خلق"، لأن خلق السموات والأرض هو الإيجاد على تقدير من غير مثال سابق. بينما عبرّ القرآن كلمة "الظلمات" و "النور" باستخدام كلمة "جعل"، لأن الظلمات والنور إنما هي تصيير من شيء. فالظلمات والنور جزء لا يتجزء من خلق السموات والأرض. فاتسخدام هذين اللفظين في صورة متبادلة يشير إلى الدقة في اختيار الكلمة ومناسبة كلّ من هذين الكلمتين مع سياق الكلام والمعنى الذي يراد إيصاله.

إنّ التوّسع في موضوعات الالتفات الذي ذهب إليه العلماء المتأخرين، يتناول جميع أنواع الالتفات في القرآن. وهذا التوسّع لا يعنى أن العلماء المتأخرين خرجوا من القواعد التي قد وضعه المتقدمين، وإنما هو استيعاب لجميع الإشارات التى أشار إليها العلماء المتقدمين، بغض النظر عن عدم وجود تعريف موحد عندهم.

الخلاصة

الالتفات هي أسلوب من أساليب التعبير في علم البلاغة. واختلف العلماء في تقديم التعريف للالتفات. وهذه الظاهرة تشير إلينا أنّ موضوع الالتفات في الدراسات البلاغية أمر معقّد، ولا نجد هناك أي تعريف شامل موحد في الكتب البلاغية. وإذا نظرنا إلى آراء العلماء المتقدمين حول الالتفات، نجد أن هناك مصطلحات مختلفة تعود إلى معنى الالتفات.وفي كتب علماء البلاغيين المتقدمين، إنما تشير إلى بعض أنواع الالتفات، وهي: الالتفات في استخدام الضمائر، والالتفات في استخدام صيغة الأفعال، والالتفات من معنى إلى معنى آخر.

وأما العلماء البلاغيين المتأخرين، يذهبون إلى أن الالتفات هي العدول في أسلوب التعبير على الوجه العام. ولذلك، فالعلماء المتقدمون يرون جميع أنواع العدول في الكلام في ضمن أسلوب الالتفات. فعلى هذا التعريف العام، دراسوا جميع أنواع أنواع العدول في الكلام تحت موضوع الالتفات. فهذه المحاولة في التوسيع، أبدعوا كثيرا من أنواع الالتفات، من أمثال: الالتفات في الضمائر، والالتفات الصرفي، والالتفات المعجمي، والالتفات في الصيغة (المذكر والمؤنث)، والالتفات في العدد (المفرد والمثنى والجمع)، وما أشبه ذلك.

بغض النظر عن التحديد أو التوسّع في موضوعات الالتفات، فإن المفهوم الأساسي للاتفات هو حدوث العدول أو التحول في استخدام أسلوب الكلام. وهذا العدول أو التحول نوع من الابداعية اللغوية. والغرض من كل هذه الالتفاتات لإشارة التأثير وفقا للرسالة التي يراد إيصالها، فضلا عن إظهار ثراء اللغة العربية، وخاصة في القرأن الكريم.

المراجع

ابن قطيبة الدنواري، أبو محمد عبد الله بن مسلم. (2007). *تأويل مشكل القرآن*، تحقيق إبراهيم شام الدين. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن منظور. (2013). *لسان العرب*، الجزء الثامن. القاهرة: دار الحديث.

أبو زيد، زينة محمود. (1998). *علم المعاني: دراسة وتحليل*. الطبعة الأولى؛ القاهرة: مكتبة وهبة.

الأندلوسي، محمد بن يوسف أبو حيان. (1993). *تفسير بحر المحيط*. الجزء الرابع. الطبعة الأولى؛ بيروت: دار الكتب العلمية.

بخدود، علي بهاء الدين. *المدخل الصرفي* (1998). الطبعة الأولى؛ بيروت: المؤسسات الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

الداية، فايز. (1996). *علم الدلالة العربي: النظرية والتطبيق*. الطبعة الثانية؛ دمشق: دار الفكر.

طبل، حسن. (1998). *أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية*. الطبعة الأولى؛ القاهرة: دار الفكر العربي.

طويلة، عبد الوهاب عبد السلام. (2000). *أثر اللغة في اختلاف المجتهدين*. الطبعة الثانية؛ القاهرة: دار السلام.

المبرّد، أبو العباس محمد بن يزيد. (1998). *الكامل في اللغة والأدب*، الجزء الثالث، تحقيق عبد الحميد هندوي. المملكة العربية السعودية: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.

الميداني، عبد الرحمن حسن هبنكة. (1996). *البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها*. الجزء الأول. الطبعة الأولى؛ دمشق: دار القلم.

ناصف، حفني وأصحابه. (2007). *دروس البلاغة*. الطبعة الأولى: باكستان: مكتبة المدينة.

العسكري، أبو هلال. (1952). *كتاب الصناعتين*، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: عيسى الباب الحلبي.

فالح، جليل رشيد. (1984). فنّ الالتفات في مباحث البلاغيين. *مجلة الأدب المستنصرية*. العدد التاسع، الرقم العاشر، 63-98.

الفيل، توفيق. (دون سنة). *بلاغة التراكيب*. القاهرة: مكتبة الأدب.

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر. (2006). *الجامع لأحكام القرآن*، الجزء العاشر. الطبعة الأولى؛ بيروت: مؤسسة الرسالة.

القزويني، الخطيب. (2003). *الإضاح في علوم البلاغة: المعاني والبيان البديع*. الطبعة الأولى؛ بيروت: دار الكتب العلمية.

الرازي، أبو الحسين أحمد بن فارس بن وكريا. (1999). *معجم مقاييس اللغة*. الجزء الأول. تحقيق إبراهيم شمس الدين. الطبعة الأولى؛ بيروت: دار الكتب العلمية.

الشراعي، عبد الله أحمد بن أحمد. (2013). *العدول النحوي في القرآن الكريم: إعجاز لغوي آخر*. مجلة الباحث الجامعي للعلوم الإنسانية، 31، 1-15.

الخالدي، صلاح عبد الفتاح. (2000). *إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني*. الطبعة الأولى؛ عمان: دار عمّار.

الخرشة، أحمد غالب النوري. (2008). *أسلوبيات الإنزياح في النص القرآني*، أطروحة. يوردانية: قسم اللغة العربية جامعة معتة.

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر. (1998). *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل*، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود و علي محمد معوض، الجزء الخامس. الطبعة الأولى؛ الرياض: مكتبة العابكان.

الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله. (1984). *البرهان في علوم القرآن*، الجزء الثاني، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. الطبعة الثالثة؛ القاهرة: دار التراث.

Idris, Mardjoko, (2019). *Gaya Bahasa Iltifat dalam Alquran. Jurnal al-Lubab*. Vol. 5 No. 1, 23-86.

Makinuddin, Moh, (2018). Mengenal Uslub dalam Struktur Kalimat dan Makna, *Jurnal Miyah,* Vol. 14, No. 2.

Susiawati, Wati. (2015). Lafadz dan Makna dalam Perspektif Pemikiran Ibn Jinni. *Jurnal Arabiyat*, 2, 167-177.

Wehr, Hans. (1976). *A Dictionary of Modern Written Arabic* (3rd edition). New York: Spoken Language Service.